﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إمهال أهل الضلالة مع منحهم ما يريدون لا يعني إهمالَهم

لَمَّا بيَّنتِ الآيةُ السَّابقةُ عاقبةَ أمرِ الأمم المُهلَكة، مع ما كانَ لَهُم مِنَ التَّمتُّع بفنون الحظوظِ العاجلة، أُمِر رسولُ الله ﷺ بأن يُجيبَ هؤلاء المُفتخرين بما لهم مِنَ الحظوظ ببيان مآلِ أمر الفريقين؛ إمَّا على وجهٍ كُلِّيٍّ مُتناولٍ لهم ولغيرهم مِنَ المُنهَمِكين في اللَّذَّة الفانية، المُبتَهجين بها، على أنَّ مَن على عُمومها، وإمَّا على وجهٍ خاصٍّ بهم على أنَّها عبارةٌ عنهُم، ووصفُهم بالتَّمكُّن لذمِّهم"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: (ضلّ) أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على مَعنًى واحدٍ، وهو ضَياعُ الشَّيءِ وذَهابُهُ في غيرِ حقِّه، يُقالُ: ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ، لُغَتانِ، وكُلُّ جائرٍ عَنِ القَصدِ ضالٌّ، والضَّلالُ والضَّلالةُ بمعنًى[2]، والضَّلالُ: العدولُ عنِ الطَّريق المستقيم، ويضادُّه الهدايةُ، ويُقالُ: الضَّلالُ لكلِّ عدولٍ عنِ المَنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا[3].

2) ﴿مَدًّا﴾: (مدّ) أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على جرِّ شيءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شيءٍ بشيءٍ في استِطالَةٍ[4]، ومنه: المُدَّةُ للوقت المُمتَدِّ، ومِدَّةُ الجرحِ، ومَدَّ النَّهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخرُ، ومَدَدْتُ عَيني إلى كذا، ومَدَدْتُهُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 277.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضل).
(3) الرّاغب، المفردات: (ضل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مد).

في غَيّه، ومَدَدْتُ الإبلَ: سَقَيتُها المَديدَ، وهو بزرٌ ودقيقٌ يُخلَطان بماءٍ، وأَمدَدتُ الجيشَ بِمَدَدٍ، والإنسانَ بطعامٍ، وأكثرُ ما جاء الإمدادُ في المحبوب، والمَدُّ في المكروه[1].

3) ﴿جُندَا﴾: (جند) "أَصْلٌ يدُلُّ على التَّجَمُّعِ والنُّصرَةِ، يُقالُ: هُم جُندُهُ، أي: أعوانُهُ ونُصَّارُهُ، وجَنَدٌ: بَلَدٌ، والجَنَدُ: الأرضُ الغَليظَةُ فيها حِجارَةٌ بيضٌ[2]، و"يُقالُ للعسكر الجُنْدُ اعتبارًا بالغِلظَةِ مِنَ الجُندِ، أي: الأرض الغليظة الّتي فيها حجارةٌ، ثمّ يُقالُ لكلِّ مُجتمَعٍ جُندٌ، نحو: (الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصّافّات: 173]"[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يظنُّ الضّالُّ أنَّ حظوظَه في الدّنيا نافعةٌ له في الآخرة، وأنّى له ذلك؟

لَمَّا كانَتِ السّورةُ مُؤسَّسةً على الرّحمة الرّبّانيّة توجَّه إلى أهل الكفر بهذا الخطابِ عن طريق مَن هو رحمة للعالَمين، قيل له: "قُلْ - أيُّها الرّسولُ الكريمُ - لهؤلاء الكافرين المُتفاخِرين بمَساكِنهم ومَظاهرِهم: مَن كان مُنغمِسًا في الضّلالةِ والشّقاوةِ والغفلةِ فقد اقتضَت حكمةُ اللّه تعالى أن يَمُدَّ له العطاءَ، كأن يُطيلَ عمرَهُ، ويوسعَ رزقَهُ، على سبيل الاستدراج والإمهال، ثمّ يأخُذَهُم أخذَ عزيزٍ مُقتَدِرٍ"[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفصل في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ﴾:

ما عند الكافرين مِن نِعمَةِ الدُّنيا إنَّما هو إمهالٌ مِنَ الله إيَّاهُم

في مَوقِع هذه الآية وجهان: **أحدُهما:** أن تكون مُتّصلةً بالآية الّتي هي رابعتها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، والآيتانِ اعتراضٌ بينهما؛ أي: قالوا: (أيُّ الفريقين خيرٌ مَقامًا

(1) الرّاغب، المفردات: (مد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جند).
(3) الرّاغب، المفردات: (جند).
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 64.

وأحسنُ نَديًّا حتَّى إذا رَأَوْا ما يوعَدونَ)؛ أي: (لا يبرحون يقولون هذا القول، ويتولَّعون به، لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعودَ رأيَ عينٍ؛ إمَّا العَذابَ في الدّنيا، وهو غلبةُ المسلمين عليهم، وتعذيبُهم إيَّاهم قتلًا وأسرًا، وإظهارُ اللّه دينَه على الدّين كلِّه على أيديهم، وإمَّا يومَ القيامة، وما ينالُهم مِنَ الخِزْي والنّكال، فحينئذٍ يعلمون عند المعاينة أنَّ الأمرَ على عكس ما قَدَروهُ، وأنَّهم شرٌّ مكانًا، وأضعفُ جندًا، لا خيرَ مَقامًا وأحسنَ نَديًّا، وأنَّ المؤمنين على خلاف صفتهم)، **والثَّاني**: أن تتَّصل بما يليها؛ والمعنى أنَّ الّذين في الضّلالة ممدودٌ لهم في ضلالتهم، والخذلان لاصقٌ بهم لِعلمِ اللّه بهم، وبأنَّ الألطافَ لا تنفعُ فيهم، وليسوا من أهلها"[1]، أو هي "جَوابُ قَولِهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، لَقَّنَ اللّه رسولَهُ ﷺ كَشفَ مُغالَطَتِهم أو شُبهَتِهم، فأَعلَمَهُم بأنَّ ما هم فيه مِن نِعمَةِ الدُّنيا إنَّما هو إمهالٌ مِنَ اللّه إيَّاهُم؛ لأنَّ مَلاذَ الكافِرِ استِدراجٌ، والمعنى أنَّ مَنْ كانَ مُنغَمِسًا في الضَّلالَةِ اغْتَرَّ بإمهالِ اللّه لهُ، فرَكِبَهُ الغُرورُ، كما رَكِبَهُم إذ قالوا: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[2].

المراد بضمير الخطاب في ﴿قُلْ﴾:

أمر ربُّنا ﷻ نبيَّه ﷺ: "أن يُجيبَ هؤلاء المُفتخِرين بما لهم مِنَ الحظوظ الدّنيويّة على المؤمنين ببيان مآل أمرِ الفريقين، إمَّا على وجهٍ كُلّيٍّ مُتناول لهم ولغيرهم مِنَ المُنهَمِكين في اللَّذَّة الفانية المُبتَهجينَ بها على أنَّ ﴿مَن﴾ على عمومها، وإمَّا على وجهٍ خاصٍّ بهم على أنَّها عبارةٌ عنهم، ووصفَهُم بالتَّمكُّن في الضّلالة لذمِّهم والإشعار بعلَّة الحكم، أي: مَن كان مُستقِرًّا في الضّلالة مغمورًا بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور"[3]، وورود الأمر هنا لإخباره ﷺ بجوابهم.

لا يستوي مَن كان مُنغَمِسًا في الضّلالة مع مَنْ كان على الصِّراط المستقيم

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 522، 521.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 76.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 16/ 126.

الغرض مِنَ التّعبير بـ﴿مَن كَانَ﴾:

وقعَت جملةُ مَقولِ القولِ شرطيّة لبيان أنَّهم مَن أوقعوا أنفسَهم في مدِّ العذاب.

سرُّ إيثار ﴿مَن﴾ على ما سواها من نظائرها:

﴿مَن﴾ لا تكون إلَّا اسمًا، فعُبِّر بها للدّلالة على ثبوت الحُكم واستمراره، وهي هنا دالَّة على ثبوت أصحاب الضَّلالة على ضلالتهم واستمرارهم فيها.

دلالة التّعبير بـ﴿كَانَ﴾ في جملة الصِّلة:

كان هنا بمعنى يكون؛ لأنَّ المعنى في باب الشَّرط يجري مَجرَى مضارعه، وفيه هنا نكتةٌ بلاغيّةٌ؛ لأنَّه إخبارٌ عن تأصُّل الضّلالة فيه، فهي تكوَّنت مع وجوده، فهم جُبِلوا عليها، ولهذا قيلَ: ﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾، وهو أبلغُ ممَّا لو قيل: قُلْ مَن كان ضالًّا.

هؤلاء الكافرون عاشوا في الضّلالة، وتلبَّسوا بها حتّى صارت سجيَّةً لهم

غرض التّعبير بالاستعارة في ﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾:

﴿فِي﴾ هنا للظَّرفيَّة، وإنَّما تظهر الظَّرفيّة في المحسوسات، لكنَّ الضَّلالَ أمرٌ معنويٌّ، وهو هنا ضلالٌ كثيفٌ مُتراكِمٌ يُشبهُ الشّيءَ الحسّيَّ، فالأسلوبُ استعارةٌ مكنيّةٌ توحي بزيادة الضَّلال وكثافته وتمكُّنه مِنَ الضَّالِّ تمكُّنَ الظَّرف مِنَ المَظروف في احتوائه عليه.

تمكَّنَتِ الضّلالة من أهلها تمكُّنَ الظَّرف مِنَ المَظروف في احتوائه عليه

نوع اللَّام في ﴿ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ ودلالتها:

اللَّامُ هنا لاستغراق جنس الضَّلالة الَّتي تصرفُ الإنسانَ عن مَطالِب الحقِّ والهدى والخير والصَّلاح، وورودُ التّعبيرِ بها لكون المَوصوف بها قد امتلكَتهُ الغوايةُ والضَّلالةُ، حتَّى صار مُنغَمِسًا فيها لا ينفكُّ عنها، فلم يتركْ بابًا من أبوابها إلَّا سلكَهُ، فاستغرقَ أنواعَ الضَّلالةِ كلَّها، وقد تكون للعهد العلميّ، أي: الضَّلالة المعهودة بصرف أصحابها عن طريق الحقِّ والهداية والخير.

هؤلاء الكافرون استغرقوا أنواعَ الضَّلالة كلَّها فاستحقّوا العذاب

دلالة اللّام في ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾:

يُمهلُ اللهُ أهلَ الضّلالة فيَمُدُّ لهم، ولا يُعاجِلُهُم بالعذاب في الدّنيا

دخولُ لام الأمر على المضارع يفضي إلى جعل المطلوب حاضرًا، وهذه الصّورة مِنَ الأمر تختلفُ عن فعل الأمر المباشِر؛ لأنَّ الأمرَ المُباشِرَ يُطلَبُ إنشاؤه دون نصٍّ على تعجيل إنشاء الفعل، "واللَّامُ في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ لامُ الأمرِ أوِ الدُّعاء، استُعمِلَت مَجازًا في لازِمِ معنَى الأمرِ، أي: التَّحقيق، أي: فسَيُمِدُّ لهُ الرّحمنُ مَدًّا، أي: أنَّ ذلكَ واقِعٌ لا مَحالَةَ على سُنَّةِ اللّه في إمهالِ الضُّلَّال، إعذارًا لهم، كما قالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: 37]، وتنبيهًا للمُسلِمينَ ألَّا يَغتَرّوا بإنعامِ اللّه على الضُّلَّالِ حتَّى أنَّ المُؤمِنينَ يَدعونَ اللّه به لِعَدمِ اكتراثِهم بطولِ مُدَّةِ نعَيمِ الكُفَّارِ"[1]، وفعلُ الأمرِ إمَّا أن يخرجَ إلى الدُّعاء، والتّقدير: (اللّهمّ أمهِلْهُ، وأطِلْ في حياته، وسلِّطْ عليه الدُّنيا حتَّى يرى ما يوعَدُ به بحيثُ لا ينفكُّ عن ضلالته إلى أن يُشاهدَ السَّاعةَ، ويواجهَ العذابَ)، وإمَّا أن يكون خبرًا في صورة الإنشاء، وتكون صيغةُ الأمرِ مُستعارةً للخبر للإيحاء بمعنى التَّهديد والوعيد، فالطَّلبُ واردٌ في معنى الخبر للإيذان بأنَّ ذلك ممَّا ينبغي أن يُفعل بموجِبِ الحكمة لقطع المَعاذير.

الغرض من تقديم ﴿لَهُ﴾ على المسند إليه:

التّعميرُ في الدّنيا لأهلِ الضّلال استدراجٌ لهم خاصَّة

المرادُ هنا تخصيصُ هذا الكافر بإمداده في الضَّلال هو لا غيره لكونه المخصوصَ بالحديث المقصود به.

إيثار التّعبير بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مسندًا إليه:

المدُّ رحمةٌ مِنَ اللهِ تعالى لِمَنِ اتَّعظ مِنَ الضُّلّال

"التَّعرُّضُ لعنوان الرّحمانيَّة لِما أنَّ المدَّ من أحكام الرَّحمة الدّنيويَّة"[2]، وفي التّعبير به إشارةٌ إلى "التَّحلّي لهم بصفة الإحسان بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أي: العامُّ الامتنانِ"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 167.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 278.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 140.

سرُّ التّقييد بالمفعول المُطلَق ﴿مَدًّا﴾:

المَدُّ: حَقيقَتُهُ إرخاءُ الحَبلِ وإطالَتُهُ، ويُستَعمَلُ مَجازًا في الإمهالِ كما هنا، وفي الإطالةِ كما في قَولِهم: مَدَّ اللّه في عُمرِكَ، و﴿مَدًّا﴾ مَفعولٌ مُطلَقٌ مُؤَكِّدٌ لِعامِلِه، أي: فلْيُمدِدْ لَهُ المدَّ الشَّديد"[1]، "وقيلَ: المرادُ به الدّعاءُ بالمدِّ والتّنفيس والإمهال، أي: فأمهلَهُ اللّهُ فيما هو فيه حتّى يلقى ربَّه، وينقضي أجلَهُ، إمَّا بعذابٍ يصيبُهُ، وإمَّا السَّاعةُ بَغتَةً"[2]، فالمرادُ بالتّقييد تأكيدُ المدِّ، وبيانُ أنَّه إمهالٌ حقيقيٌّ كرمًا مِنَ اللّه، مُلائِمًا للتَّعبير باسم اللّه الرّحمن، وتناسُبًا مع رحمانيَّته.

إمهال مَنْ لم يتَّعظ إمَّا لعذابٍ يصيبُهُ، وإمَّا للسَّاعة تَبغَتُه

دلالة التّعبير بالحرف ﴿حَتَّىٰٓ﴾:

"حتَّى لِغايَةِ المَدِّ، وهي ابتِدائيَّةٌ، أي: يَمُدُّ لَهُ الرّحمنُ إلى أَنْ يَرَوْا ما يوعَدونَ، أي: لا مَحيصَ لَهُم عَن رُؤيَةِ ما أوعِدوا مِنَ العَذابِ، ولا يَدفَعُهُ عنهُ طولُ مُدَّتِهم في النِّعمَةِ"[3].

طول المُدَّة الّتي قضاها أهل الضّلال في النّعيم لا تدفعُ عنهم العذابَ

إيثار التّعبير بـ ﴿إِذَا﴾:

﴿إِذَا﴾ ظرفٌ لِما يُستقبَلُ مِنَ الزَّمان، وتُستعمَلُ في الفعل المُستمِرِّ في الأحوال كلِّها حاضرِها وماضيها ومُستقبلِها، ولذا قالوا: إنَّها شقيقةُ الفعلِ المُستقبلِ الَّذي يُفعَل حيثُ يُفْعَل به من غير قصدٍ إلى تخصيص وقتٍ دونَ آخر[4]، وتُستعمَلُ في الشَّرط المقطوع بوقوعه، وهي دالَّة هنا على حصول الرّؤيَةِ ووقوعِها بلا شكٍّ ولا تردُّدٍ، لذا أوثِرَت على غيرها.

رؤيةُ ما أوعِدوا مِنَ العذابِ لا مَحيصَ لهم عنها

مَرجِعُ الضَّمير في ﴿رَأَوْا﴾، وسرُّ التَّعبير بالرّؤيَة:

الضّميرُ في ﴿رَأَوْا﴾ للمُشركين المُكذِّبين الّذين امتدَّ أمرُهُم في الضَّلالة، والرّؤيَةُ قد تكون حقيقيَّةً؛ ذلك لأنَّ الأرضَ تتبدَّلُ غيرَ

يوم المِيعادِ تُدرِكُ كلُّ نفسٍ مَصيرَها إمَّا إلى جنَّة وإمَّا إلى نار

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 167.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 111.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 167.
(4) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 197.

الأرض والسّماوات ثمّ تُحشَرُ الخلائقُ للحساب، وتكون مَشاهدَ مُختلِفةً ومَواقِفَ مُتباينةً، وقد تكون الرّؤيَةُ بمعنى العلم والتَّحقُّق، وذلك عند خروج الرّوح تنكشفُ الأمورُ، وتُدرِكُ كلُّ نفسٍ مَصيرَها؛ إمَّا إلى جنَّة، وإمَّا إلى نار.

نكتة إيثار ﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾:

ما وُعِدَ به المشركون الضُّلّالُ مِنَ العذاب لا يتحمَّلُهُ بشرٌ

﴿مَا﴾ هنا اسم موصول بمعنى الّذي، وجيء بها لتفخيم الأمر وتهويله؛ إذ ليست رؤيتُهُم تقع على شيءٍ إلَّا على أمرٍ مَهولٍ، إمَّا العذاب الّذي ينتظرُهم، فلا مفرَّ لهم منه ولا مَهربَ، وإمَّا السَّاعة الّتي تبغَتُهم، وكانوا يظنّونَ استبعادَ وقوعِها أو عَدَمَهُ مِنَ الأصل، فلمَّا كان الأمرُ جدَّ عظيمٍ، فسيرون ذلك عيانًا أمامهم، عُبِّر بـ(ما).

نكتة الجمع في ﴿رَأَوْا﴾ و﴿يُوعَدُونَ﴾:

لا تقع رؤية أهل الضَّلال على شيءٍ إلَّا على أمر مَهولٍ

"وجمعُ الضّميرِ في الفعلَين باعتبار معنى ﴿مَن﴾، كما أنَّ الإفرادَ في الضّميرين الأوَّلينَ باعتبار لَفظِها"[1]، وأوثِرَ الإفرادُ أوَّلًا حَملًا على اللَّفظ؛ لأنَّه أبلغُ في بيان رحمة الله تعالى بالمَدِّ المذكور، فهو ظاهرٌ لكلِّ فردٍ، وكان الحَملُ على المعنى بالجمع ثانيًا؛ لأنَّه أبلغُ في التّهديد والوعيد؛ لأنَّ رؤيةَ الجماعة العذابَ أو السَّاعةَ أهولُ في تقرير التّرهيب والوعيد مِن رؤية الفرد، فبعضُهُم ينظرُ في وجه بعضٍ، فيرى فيه الخوفَ والاضطرابَ والقلقَ والكَربَ، فيكون ذلك كربًا آخرَ، وعذابًا آخرَ، وتقريرُ الصّواب في التَّفرقة بين الفريقين في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ﴾ بالجمع ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ أبلغُ مِن تقريره بصورة الإفراد؛ لأنَّ هذه التّفرقةَ نغمةٌ جماعيّةٌ، ونعرةٌ فيها عصبيّةٌ، لا يُنظَرُ فيها للأفراد فردًا فردًا، وإنَّما النّظرُ فيها للجماعة في مقابلة الجماعة الأخرى.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 16/ 127.

دلالة التّفصيل ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾:

كُلُّ واحدٍ مِمَن كان في الضَّلالة لا يَعدو أنْ يَرى أحدَ العَذابَينِ أو كليهما

قوله: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ بدل من اسم الموصول في ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾، "﴿إِمَّا﴾: حرفُ تَفصيلٍ لـ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾، أي: ما أوعِدوا مِنَ العذابِ، إمَّا عذابُ الدُّنيا، وإمَّا عذابُ الآخِرة، فإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُم لا يَعدو أنْ يَرى أَحَدَ العَذابَينِ أو كِلَيهما، والتّفصيلُ هنا يبيِّنُ المجملَ قبلَه، وهو قوله: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾، وفي البيان بعد الإجمال مزيدٌ مِنَ الإيضاح وتقرير المعنى، وتفصيلٌ للموعود على أنَّه بدلٌ منه على سبيل البدل، فإنَّه إمَّا العذابُ الدُّنيَويُّ بغلَبة المسلمين واستيلائِهم عليهم وتَعذيبِهم إيَّاهم قتلًا وأسرًا، وإمَّا يومُ القيامة، وما نالَهُم فيه مِنَ الخِزي والنَّكال على طريقة مَنعِ الخُلوِّ دونَ مَنعِ الجواب، فإنَّ العذابَ الأخرويَّ لا ينفَكُّ عنهم بحالٍ"[1]، فهم مَحصورون ومُحاصَرون برؤية العذاب في الدّنيا أو في الآخرة.

دلالة حرف الاستقبال في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾:

برؤية ما يوعَدون يكون انكشافُ الحقائق

"حرفُ الاستقبالِ لِتَوكيدِ حصولِ العِلمِ لَهُم حينَئِذٍ، وليسَ للدَّلالةِ على الاستِقبالِ؛ لأنَّ الاستقبالَ استُفيدَ مِنَ الغايةِ"[2].

سرُّ إيثار ﴿مَنْ﴾ في الآية:

لوم وتوبيخ على مَنْ كان له عقلٌ أن يمكثَ في ضلالته بعد معاينة الحقِّ والصَّواب

﴿مَنْ﴾ هنا في قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ إمَّا أن تكون موصولة بمعنى الّذي، وهي مفعول به للفعل (يعلمون)، وإمَّا أن تكون استفهاميَّة في محل رفع بالابتداء، وهي أكثر ما تُستعمَلُ للعقلاء، وقد قيل: "﴿مَنْ﴾ عبارةٌ عنِ النَّاطقين، ولا يُعبَّرُ به عن غير النَّاطقين إلَّا إذا جَمَعَ بينهم وبين غيرهم، كقولك: رأيتُ مَنْ في الدَّار مِنَ النَّاس والبهائم، أو يكونُ تفصيلًا لجملة يَدخُل فيهمُ النَّاطقون، ويُعَبَّرُ به عنِ الواحد والجمع والمُذكَّر والمُؤنَّث"[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 278.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 167.
(3) الرّاغب، المفردات: (منن).

سرُّ التّعبير بأفعل التّفضيل ﴿شَرٌّ﴾:

لا مكانَ شرٌّ من جهنّمَ والعياذ بالله

سرُّ التّعبير بأفعل التّفضيل تبكيتُ الخصم جريًا على طريقتهم في الظّنِّ بأفضليّتِهم بسبب ما أنعم اللّهُ عليهم من خير الدّنيا، تَناسُبًا مع ما سبق ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، فهو تبكيتٌ للخصم، فكأنَّها ردٌّ لِدعواهُم أنَّهم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بضدِّ الصّيغة نفسها.

سرُّ إيثار كلمة ﴿مَّكَانًا﴾ دون (مَقامًا):

شرُّ المكان في الآخرة دليلٌ على سوء المَقام

"في التّعبير بالمكان هنا دون المَقام المُعبَّر به هناك مبالغةٌ في إظهار سوء حالهم"[1]، وسوءُ المكان أبلغُ في الدّلالة؛ إذِ السّوءُ لا ينفصلُ عنه، فهو ثابتُ ثباته، وسوءُ المكان يَلزَمُ منه سوءُ المَقام من باب أولى، فبولِغَ لهم في تقرير سوء المَقام بالتّعبير بسوء المكان.

دلالة العطف في قوله: ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾:

إذا رأى الضُّلّالُ عدمَ النّاصر لهم في الآخرة؛ عرفوا أنّهم كانوا مُخطِئين في زعمهم

عُطِفَت هذه الجملة على سابقتها ترتيبًا لها في مَنزِلتها ومشاركةً لها في المعنى المراد منها، فلمَّا ذَكَرَ تعالى كونهم شرًّا مكانًا، وليس هناك مكانٌ شرًّا مِنَ النَّار مع مناقشتهم في عرض الحساب، عطف على ذلك كونهم أضعفَ جُندًا، حيثُ ظنّوا أنَّهم وهم في الدّنيا أنَّ اجتماعَهم هذا ينفعُهُم، فإذا رأَوا عدمَ النَّاصر لهم في الآخرة عرفوا ساعتَها أنَّهم كانوا في الدُّنيا مُخطِئين في زعمهم هذا، ومن هنا عُطِفَ أحدُ الوصفين على الآخر مشاركةً له.

إيثار التّعبير بأفعل التّفضيل بـ﴿وَأَضْعَفُ﴾:

إذا عاين الكفّارُ الآخرة وجدوا أنَّ مكانَهم شرُّ مكان، وجنودَهم أضعفُ الأجناد

هؤلاء ظنّوا أنَّهم فيما سبق خيرٌ مَقامًا وأحسنُ أهل نادٍ، فلمَّا عاينوا الآخرةَ وعذابَها وجدوا أنَّ مكانَهم شرُّ مكانٍ، وأنَّ أعوانَهم وجنودَهم الّذين كانوا يتناصرون بهم في الدّنيا صاروا أضعفَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 16/ 126.

الأجناد، فلا مَنعةَ ولا قوَّةَ، فجاء أفعل التّفضيل هنا ناعيًا عليهم خيبتَهم، وظنَّهم الواهي، ومن هنا حُذِفَ المفضولُ للدّلالة عليه، فهنا أراد تفضيلَ خيرِ الجنود المُساندة للحقِّ لا جندهم الواهي، فلا أفضليَّة لهم إذًا، وفيها لفٌّ ونشرٌ مُرتَّبٌ حيث رجع الأوّلُ إلى ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ والثّاني إلى ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

إعراب كلمة ﴿جُندًا﴾، وسرُّ اختيارها:

كلمة ﴿جُندًا﴾ هنا تمييز مبيِّن لنوعه، وهُمُ الجنودُ أو الأنصارُ أو الأعوانُ الضُّعفاءُ، "عبَّر بالجند؛ لأنَّ قصدَهُمُ المُغالَبةُ، وما كلُّ مَن في النَّديِّ يكون مُقاتِلًا"[1]، فالجندُ هُمُ المَقصودونَ بالضّعف، وهذا نصٌّ في قهرهم وغلبتهم.

ما كلُّ مَن في النَّديّ يكون مُقاتِلًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 241.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»